تهديدات جيواقتصادية:
مستقبل صناعة النفط في بلدان الصراعات العربية

إبراهيم الغيطاني
باحث اقتصادي، بالمركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية - القاهرة

أدت الاضطرابات السياسية والأمنية المصاحبة لانهيار المؤسسات الأمنية في بعض الدول العربية إلى تداعيات سلبية على البنية التحتية لصناعة النفط وتعطل إمداداته وحركة تصديره.

مع ظهور النزعات الإنفصالية، وزيادة عمليات الجماعات الإرهابية في المنطقة، تصاعدت "التهديدات" بتعطيل حركة نقل النفط عبر الممرات المائية؛ مما أدى إلى وصول أسعار النفط إلى ما يقارب 107 دولارات في شهر يونيو 2014.

وإزاء تصاعد حالة الانفلات الأمني خلال الأشهر الماضية من 2014، والتي تسببت في تراجع أرباح الشركات العاملة، توجهت بعض الشركات إلى تعليق عملياتها أكثر من مرة، ولجأت بعض الشركات الأخرى إلى تجميد استثمارات كانت تعاقدت عليها مع حكومات المنطقة قبل الثورات العربية، بينما فضلت مجموعة أخرى سحب استثماراتها من المنطقة، الأمر الذي قد يهدد صناعة النفط بالتراجع، وما يستتبعه ذلك من استمرار تراجع اقتصادات بعض الدول في المنطقة، والتي تعتمد بصورة أساسية على النفط كمورد رئيسي لاقتصادها.

أولاً: خصوصية الشرق الأوسط في أسواق النفط

تحمل منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أهمية كبيرة لأسواق النفط العالمية، إذ تبلغ صادراتها النفطية نحو 40% من إجمالي صادرات النفط العالمي، و20% من الغاز الطبيعي، كما تمتلك نحو 61% من احتياطيات النفط، و45% من احتياطات الغاز الطبيعي [1].

وتعتبر دول مجلس التعاون الخليجي من كبار منتجي النفط عالمياً، فقد أنتجت المملكة العربية السعودية وحدها نحو 11.5 مليون برميل نفط يومياً في عام 2013، بما مثّل 13.1% من الإنتاج العالمي في هذا العام، كما أنتجت الإمارات العربية المتحدة 3.6 مليون برميل نفط يومياً في 2013، لتساهم بذلك بنحو 4% من الإنتاج العالمي للنفط، بينما تنتج الكويت نحو 3.1 مليون برميل يومياً، بما يمثل 3.7% من الإنتاج العالمي للنفط.

وكذلك تعتبر منطقة شمال أفريقيا ذات موارد نفطية كبيرة، إذ أنتجت ليبيا نحو 988 ألف برميل يومياً في 2013، أي 1.1% من الإنتاج العالمي. بينما تعد سوريا واليمن من الدول ذات القدرات الإنتاجية المنخفضة، إذ إن إنتاجهما في 2013، بلغ 56 و161 ألف برميل يومياً على التوالي، بما لا يتجاوز إنتاجهما معاً 0.3% من الإنتاج العالمي، علماً بأن معدلات الإنتاج قبل الثورات

العربية كانت الضعف تقريباً، إذ بلغ إنتاج النفط في سوريا 385 ألف برميل يومياً في عام 2010 وبلغ إنتاج اليمن 264 ألف برميل يومياً خلال السنة نفسها[2].

ثانياً: التداعيات على أسواق النفط العالمية

ضغطت الاضطرابات السياسية والأمنية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا على أسعار النفط، خاصة في شهر يونيو 2014 جراء تعطل الإمدادات من العراق وليبيا والمخاوف حول احتمال انتشار الاضطرابات إلى الدول الرئيسية الأخرى المصدرة للنفط.

ويؤثر ارتفاع أسعار النفط سلباً على اقتصادات البلدان المستوردة للنفط، إذ تعد تكلفة النفط المحدد الرئيسي لأسعار البنزين وأسعار المنتجات البترولية الأخرى؛ والتي بارتفاعها تمثل عبئاً على الأفراد والشركات، وتلقي بظلالها السلبية بالتالي على تباطؤ نمو الاقتصاد العالمي[3].

وقد ارتفع سعر سلة أوبك بنحو 2.45 دولار في شهر يونيو 2014 ليصل إلى 107.89 دولار للبرميل، لتعد بذلك أعلى نقطة وصل إليها سعر النفط في 2014، صعود خام غرب تكساس الوسيط نايمكس بنحو 3.35 دولار ليصل إلى 105.15 دولار للبرميل، كما صعد أيضاً خام برنت إلى نحو 108.82 دولار للبرميل، مرتفعاً عن سعر في الفترة ذاتها من العام الماضي[4].

ثالثاً: تهديدات صناعة النفط في الشرق الأوسط

ومما لا شك فيه أن الاضطرابات الأمنية والأزمات السياسية التي تمر بالعديد من الدول، خصوصاً في العراق وليبيا واليمن وسوريا، قد أثرت على أسواق النفط في هذه الدول، كما أن التخوفات الأمنية المحيطة بالمنطقة قد زادت المخاوف حول تدفق الإمدادات النفطية، وهو ما يمكن تناوله فيما يلي:

1 ـ الاضطرابات الأمنية

تواجه منطقة الشرق الأوسط تهديدات أمنية عديدة منذ عام 2011، فقد برزت تحديات أمنية كثيرة نتيجة الغياب الأمني، وضعف الحكومات، وظهور الحركات الانفصالية، وزيادة نشاط الجماعات الإرهابية، واشتعال الحروب الأهلية، وانتشار المليشيات المسلحة الراغبة في السيطرة على الثروة النفطية، بالإضافة إلى وجود خلافات بين سكان بعض المناطق والحكومات المركزية حول تقاسم عوائد تصدير النفط، وكلها تحديات أضرت بصورة كبيرة بالاستثمارات الأجنبية في قطاع النفط.

العراق: لم يكن قطاع النفط العراقي في أحسن أحواله، بسبب تصاعد أعمال العنف الطائفي في البلاد عقب الغزو الأمريكي في عام 2003، وشهدت المنشآت النفطية العديد من العمليات التخريبية، والتي وصلت ذروتها في عامي 2005 و2006، حيث شهدت أكثر من 300 و250 هجوماً على التوالي. وخلال الفترة بين يناير وأغسطس 2013، كان خط أنابيب كركوك جيهان الأكثر استهدافاً بالهجمات الإرهابية، عبر تعرضه لأكثر من 30 تفجيراً، مما أدى إلى التوقف المتكرر للخط لاجراء إصلاحات[5].

وازداد الأمر سوءاً مع ظهور تنظيم "داعش" الذي نجح في بسط نفوذه على مناطق واسعة من وسط وشمال العراق، ونجح مقاتلوه في السيطرة على عدد من آبار النفط هناك، كما دخلوا في مواجهات مع الحكومة العراقية للسيطرة على مصفاة بيجي النفطية في الشمال، وكذا جزء من مسار خط أنابيب تصدير النفط الخام إلى ميناء جيهان التركي. وعلى الرغم من أن الحقول النفطية في الجنوب مازالت آمنة، فإن تصاعد التوترات الأمنية في المناطق الشمالية يضيف الكثير من المخاطر على عمليات الإنتاج في الجنوب خاصة في ظل توقعات بامتداد هجمات داعش لكافة أنحاء العراق[6].

وقد أدت سيطرة داعش على المناطق الشمالية في العراق إلى وقف إنتاج حقل كركوك، وتعطيل صادراته البالغة 250 ألف برميل يومياً، بينما ارتفع إنتاج إقليم كردستان العراق بمقدار 130 ألف برميل يومياً إلى 360 ألف برميل في يونيو 2014، من خلال التصدير عبر خط أنابيب مستقل إلى تركيا[7]، ولكن لا تخلو عمليات الإنتاج أيضاً من مخاطر كبيرة، خاصة بعد تعرض الإقليم لتهديدات أمنية من الدولة الإسلامية[8].

ليبيا: بدأت التهديدات الأمنية في ليبيا عندما انهارت قوات الجيش الليبي عقب الثورة الليبية في عام 2011، مما أدى إلى ظهور الميليشيات المسلحة عبر أنحاء البلاد، وبروز حركات انفصالية، خاصة في الجزء الشرقي من البلاد، وتعرضت العديد من الحقول النفطية والموانئ، خاصة في المنطقة الشرقية لسيطرة مجموعات من المحتجين أو الميليشيات.

وقد أدت الاضطرابات الأمنية تلك إلى انخفاض إنتاج النفط الخام إلى مليون برميل يومياً في يوليو 2013، ثم 600 ألف برميل يومياً في شهر أغسطس 2013[9]، ثم وصل الإنتاج إلى ما يقارب 500 ألف برميل يومياً في يوليو الماضي بحسب ما أعلنته الحكومة الليبية نهاية الشهر الماضي[10].

اليمن: أثارت الثورة اليمنية تداعيات سلبية على صناعة النفط في البلاد، وقد أدت الاضطرابات الأمنية التالية للثورة إلى ظهور حركات انفصالية في جنوب اليمن، فضلاً عن تزايد حدة الاحتجاجات المطالبة بالتنمية الاقتصادية وتحسين مستوى المعيشة، بالإضافة إلى اشتداد المعارك بين تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مع قوات الجيش اليمني، وهو الأمر الذي انعكس في النهاية على صناعة النفط في اليمن سلباً.

وتوجد احتياطيات النفط اليمنية في المناطق الأقل نمواً، الأمر الذي يثير مشاعر تلك المناطق بتعرضها للاستغلال والإهمال من قبل الحكومة في صنعاء، مما دفع بعض القبائل بعد ثورة 2011 إلى العمل المسلح ضد المنشآت النفطية خاصة أنابيب النفط، وقاموا أيضاً بخطف العمال الأجانب في بعض شركات النفط، كوسيلة لتفاوض القبائل مع الحكومة من أجل تحقيق مطالب

تنموية.

وخلال عام 2013، قامت مجموعات في الجنوب مرتبطة بتنظيم القاعدة بمهاجمة البنية التحتية للنفط والغاز، خاصة خط الأنابيب الذي ينقل النفط الخام من مأرب إلى البحر الأحمر، رداً على هجمات الطائرات بدون طيار الامريكية ضد أعضاء تنظيم القاعدة[11]، وقدر تقرير للجنة التنمية والنفط والثروات المعدنية اليمنية بمجلس النواب اليمني إلى أن الخط تعرض خلال الفترة التي أعقبت انطلاق الثورة من منتصف مارس 2011 وحتى أبريل 2013، لما يزيد على 65 عملية تخريبية وإرهابية[12].

وإجمالاً، أدت الاضطرابات الأمنية المستمرة في اليمن إلى انخفاض الإنتاج من نحو 282.4 ألف برميل عام 2010 إلى 131.5 ألف برميل يومياً في 2013 بحسب إدارة معلومات الطاقة الأمريكية[13]، وتتوقع منظمة أوبك أن تنخفض إمدادات النفط في اليمن في ظل الاضطرابات الأمنية، بحيث تصل بنهاية عام 2014 إلى 110 آلاف برميل يومياً في 2014[14].

سوريا: أدت عمليات الاقتتال المستمرة في سوريا منذ 3 سنوات بين قوات الجيش السوري والمعارضة السورية والجماعات الجهادية إلى تدمير البنية التحتية لقطاع النفط والغاز الطبيعي، وتوقف الإنتاج في العديد من حقول النفط، واستطاع مقاتلو "داعش" السيطرة على كثير من الحقول النفطية في مدينة دير الزور، الغنية بالنفط[15].

وتشير تقديرات وزارة النفط والثروة المعدنية السورية إلى أن قيمة خسائر قطاع النفط والغاز الطبيعي في سوريا منذ عام 2011 وحتى عام 2014 قد بلغت نحو 570 مليار ليرة سورية، أي 3.7 مليار دولار، وتتصل تلك الخسائر بقيمة كميات النفط والغاز المهدورة وتدمير البنية التحتية والمنشآت والمعدات[16]، وتتوقع منظمة أوبك مزيداً من انخفاض إنتاج سوريا من النفط في ظل تصاعد العنف والاقتتال، حيث من المتوقع أن يصل إلى 20 ألف برميل يومياً في عام 2014، أي بانخفاض يصل إلى 30 ألف برميل يومياً[17].

2 ـ تهديدات الممرات المائية:

لا تعد الاضطرابات الأمنية هي المهدد الوحيد لصناعة النفط في الشرق الأوسط، إذ تضاف إليها تهديدات الخدمات اللوجستية المرتبطة بالصناعة في المنطقة، ويقصد بالخدمات اللوجستية، نقل النفط عبر الممرات المائية في المنطقة. وتعد الممرات المائية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (قناة السويس، ومضيق هرمز، وخليج عدن) من بين أهم الممرات المائية في العالم باعتبارها بوابة لأكبر منتجي النفط على مستوى العالم، ومن ثم فإن أي تهديد لها ينتقل تأثيره سريعاً لأسواق النفط العالمية.

وقد تعرضت الممرات المائية بعد الثورات العربية لتهديدات جديدة، فمنذ يونيو عام 2013، تعرضت قناة السويس إلى 9 حوادث، سواء في نطاق القناة نفسها أو في محيطها، واثنان من الحوادث استهدفا السفن العابرة للقناة. وعلى الرغم من أن الأوضاع الأمنية صارت أكثر استقراراً، فإن الاضطرابات الأمنية المستمرة في سيناء، ربما تشكل تهديداً للمجرى الملاحي، ومن ثم حركة تجارة النفط.

وتشكل إيران تهديداً مستمراً لمضيق هرمز، فقد أعلنت في مرات عديدة نيتها غلق المضيق في حالة توجيه ضربة عسكرية ضد برنامجها النووي[18]. وعلى الرغم من أن حوادث القرصنة على السفن التجارية قبالة السواحل الصومالية في تراجع بفضل الجهود الدولية البحرية، فإن سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية في الصومال والاضطرابات في اليمن يمثلان بيئة خصبة لتزايد أنشطة القرصنة مرة أخرى، بعدما كبدت عمليات القرصنة قبالة سواحل الصومال الاقتصاد الدولي بما يقدر بـ 18 مليار دولار سنوياً [19].

يمكن القول إن التداعيات الأمنية في المنطقة فرضت نفسها بقوة على صناعة النفط، وتسببت في مخاطر تشغيلية واستراتيجية كبيرة للشركات الغربية، وهو ما يتطلب من دول المنطقة الإسراع في إيجاد الحلول السياسية والأمنية حتى لا تتهدد صناعة النفط على المديين القصير والطويل.

رابعاً: الشركات الأجنبية: سحب الاستثمارات أو تجميد المشروعات

تنتشر الشركات الأجنبية في مختلف دول المنطقة من خلال شراكتها مع بعض المؤسسات المحلية، أو مشاركتها في المشاريع النفطية، وتبرز العديد من أسماء الشركات الأجنبية النفطية العاملة في الشرق الأوسط، وإن كان أكثرها تأثيراً شركات: بريتش بتروليوم البريطانية وإيني الإيطالية وأباتشي وشل الأمريكيتين، وتوتال الفرنسية، وريبسول الإسبانية، وبتروناس الماليزية، وبعض الشركات الصينية مؤخراً مثل بتروشينا.

ومع التهديدات الأمنية المستمرة التي تواجهها الشركات الأجنبية في الإقليم، وتعاظم المخاطر التي تتعرض لها المنشآت النفطية أو العاملين بالشركات، اتجهت بعض الشركات لإيقاف عملياتها وإجلاء الموظفين، فيما قررت شركات أخرى سحب استثمارتها أو بيع حصصها في بعض المشاريع، كما جمدت بعض الشركات استثمارات كانت تعاقدت عليها مع حكومات الإقليم قبل الثورات. فقد قررت شركة أباتشي الأمريكية في أغسطس 2013 بيع 33% من أصولها في مصر إلى مجموعة سينوبك الصينية بنحو 3.1 مليار دولار[20]، كما قررت شركة بجنيج البولندية للغاز في يناير 2014 الانسحاب من مشروع للتنقيب عن النفط والغاز في مصر، نظراً لارتفاع المخاطر السياسية في مصر حينذاك[21].

ودخلت شركة بريتيش بيتروليوم في نوفمبر 2013 في مباحثات مع الحكومة الليبية بشأن انسحابها من مشروع غدامس للتنقيب عن الغاز الطبيعي، الذي وقع في عام 2007 بقيمة 900

مليون دولار، لانعدام الأمن والاستقرار في المنطقة[22]. وقررت شركة النفط الوطنية الأنجولية سونانجول الانسحاب من العراق في فبراير 2014 بسبب المشكلات الأمنية، وكانت الشركة فازت في عام 2009 بحق إدارة حقلي القيارة والنجمة الواقعين في محافظة نينوى شمال غرب العراق[23].

كما أجلت أحداث العراق البدء في تنفيذ خطط بناء خط الأنابيب المتجه من البصرة / العراق إلى العقبة / الأردن بسعة 2.25 مليون برميل، والذي كان على وشك بداية مرحلة تقديم العطاءات، فيما هددت شركة إيني الإيطالية بمغادرة العراق في ظل استمرار الأوضاع الأمنية على هذا النحو[24].

كذلك علقت شركة أبوظبي الوطنية للطاقة أنشطتها في حقل أتروش في كردستان العراق في أغسطس 2014، مع احتمالات تقدم مقاتلي داعش نحو العاصمة أربيل[25]، وكذا أعلنت شركة التنقيب عن النفط والغاز الأيرلندية بتروسلتك تعليق العمليات ووقفها مؤقتاً كإجراء احترازي، بما في ذلك أنشطة الحفر في بئر شيرين بمنطقة امتياز دينارتا[26].

أما في سوريا، فيعتبر الوضع أكثر مأساوية، إذ انسحبت كافة الشركات الأجنبية العاملة في قطاع النفط والبرتوكيماويات. وفي الوقت الذي علقت فيه الشركات الاجنبية أعمالها في قطاع النفط وغادرت سوريا خوفاً من التطورات الأمنية المتدهورة منذ عام 2011، يعد الاستثناء الوحيد هو شركة "سيوز نفتاغاز" الروسية التي بدأت استعداداتها للتنقيب عن النفط في المياه الإقليمية السورية بالبحر المتوسط، تنفيذاً للاتفاق الذي وقعته مع وزارة النفط والثروة المعدنية في دمشق في ديسمبر 2013[27].

ختاماً، يمكن القول إن التداعيات الأمنية في المنطقة فرضت نفسها بقوة على صناعة النفط، وتسببت في مخاطر تشغيلية واستراتيجية كبيرة للشركات الغربية، وهو ما يتطلب من دول المنطقة الإسراع في إيجاد الحلول السياسية والأمنية حتى لا تتهدد صناعة النفط على المديين القصير والطويل.

ويمكن في هذا الإطار أن تقوم شركات النفط بالتنسيق الأمني مع حكومات المنطقة لتعزيز حماية المواقع، فضلاً عن زيادة العتاد العسكري (البري، والبحري، والجوي) لتأمين المواقع النفطية، بالإضافة إلى تعزيز المسؤولية الاجتماعية لشركات النفط في مناطق الإنتاج، بما يوجد حالة ود ومشاركة متبادلة بين الطرفين، ومن ثم ينعكس على أمن المنشآت النفطية، وإن كانت مثل هذه التوصيات لن تجد نفعاً في الدول التي تشهد انهياراً كاملاً في مؤسساتها الأمنية، إذ إن الوضع يتطلب أولاً إعادة بناء الأجهزة الأمنية قبل أي حديث عن أمن الصناعة النفطية بصفة عامة.

---

1) Michael Ratner and others, Middle East and North Africa Unrest: Implications for Oil and Natural Gas Markets, **Congressional Research Service**, 10 March 2011, no. R41683, pp 1-7.
2) British Petroleum, **Statistical Review of World Energy, Different Years**, June 2014, accessible at: http://goo.gl/YvO7Ea
3) Michael Ratner and others, **Op.cit.**, pp 4-5.
4) OPEC, Monthly oil Market, August 2014, accessible at: http://goo.gl/p5iP7D
5) Jennifer Giroux and others, Research Note on the Energy Infrastructure Attack Database (EIAD), **Perspectives on Terrorism**, Vol. 7, no. 3, 2013, accessible at: http://www.terrorismanalysts.com/pt/index.php/pot/article/view/315/html
6) Iraq and Global Oil Markets: The ISIS effect, **Economist Intelligence Unit**, June 18 2014 , http://goo.gl/TIHQcm
7) Internatioanl Energy Agency: **Oil Market Report**, July 11, 2014), accessible at:http://goo.gl/jzr5Tr
8) بعد تقهقر البيشمركة.. كردستان في مرمى نيران، **قناة الحرة**، 13 أغسطس 2014، موجود على الرابط التالي:http://goo.gl/1IFhjI
9) US Energy Information Adminstraton, Status of Libyan Loading Ports and Oil and Natural Gas Fields, September 10, 2013), accessible at: http://www.eia.gov/forecasts/steo/special/pdf/2013_sp_06.pdf
10) مسؤول: جميع حقول النفط في ليبيا آمنة، **رويترز**، 29 يوليو 2014، موجودة على الرابط التالي: http://goo.gl/TpUHok،
11) Bernard Haykel, The state of Yemen's oil and gas resources, **Policy Brief** (The Norwegian Peacebuilding Resource Centre), 2013, accessible at: http://goo.gl/6LkD8R
12) تقرير برلماني يكشف أسرار النفط في اليمن وأسباب تدهور هذا القطاع، المصدر أون لاين، 9 يناير 2014، http://almasdaronline.com/article/53543
13) Yemen, Us Energy Information Administration, September 19, 2013, accessible at: http://goo.gl/HP8SQy
14) OPEC, Monthly oil Market, August 2014, accessible at: http://www.opec.org/opec_web/static_files_project/media/downloads/publications/MOMR_August_2014.pdf
15) Kenneth Katzman & others, Iraq Crisis and U.S. Policy, **Congressional Research Service**, July 21, 2014, no. R43612, p. 10.
16) وزير النفط: 81.940 مليار ليرة سورية قيمة الدعم لمقدم للمشتقات النفطية خلال النصف الأول لعام 2014، وزارة النفط والثروة المعدنية السورية، موجود على الرابط التالي: http://mopmr.gov.sy/index.php/localnews/300-81940-2014.html
17) OPEC, Monthly oil Market, August 2014, accessible at: http://goo.gl/fJpKuF
18) Robert M. Shelala Ii: Maritime Security In The Middle East And North Africa: A Strategic Assessment, CSIS Report, Feb 6, 2014, accessible at: http://csis.org/files/publication/140206_maritime_security_shelala_report.pdf
19) World Bank, THE PIRATES Of SOMALIA: Ending The Threat, Rebuilding A Nation (USA: WB, 2013), pp 1-25.
20) Apache to receive $3.1 billion in exchange for 33 percent interest in Apache Egypt, Appache, Aug. 29, 2013, accessible at: http://investor.apachecorp.com/releasedetail.cfm?ReleaseID=787946
21) صحيفة: شركة بولندية تنسحب من مشروع للنفط والغاز في مصر، **رويترز**، 29 يناير 2014، موجود على الرابط التالي: http://goo.gl/4FjtRN
22) بريتيش بيتروليوم تنسحب من مشروع غدامس الليبي النفطي لانعدام الأمن، **روسيا اليوم**، 7 نوفمبر 2013، موجود على الرابط التالي: http://bit.ly/Y4xD7l
23) سونانجول الأنجولية تنسحب من حقلي نفط في العراق، **رويترز**، 25 فبراير 2014، موجود على الرابط التالي: http://goo.gl/jPeC1K
24) شركات نفط أجنبية تنسحب أو تهدد بمغادرة العراق، **الجزيرة**، 25 فبراير 2014، موجود على الرابط التالي: http://bit.ly/1vHzdLe
25) كردستان تؤكد تواصل إنتاج النفط وشركات تعلق عملياتها، **الجزيرة**، 9 أغسطس 2014، موجود على الرابط التالي: http://bit.ly/1Be42re
26) شركات طاقة تعلق أنشطتها في كردستان العراق، **روسيا اليوم**، 11 أغسطس 2014، موجود على الرابط التالي: http://bit.ly/VlxUk7/
27) US Energy Information Adminstration, **Syria Report**, February 18, 2014, accessible at: http://goo.gl/hhj4XH